٣٢

العمل المنزلي لدى النساء دراسة انثروبولوجية في بغداد

Work among domestic women, an anthropological study in Baghdad

كلمات مفاتيح: العمالة، العمل، الاسرة

Keywords: employment, work, family

الباحث/ ريم محمد خلف

Researcher/ Reem Muhammad Khalaf

أ.د علي زيدان خلف

Professor Ali Zidan Khalaf

الجامعة المستنصرية/ كلية الآداب/ قسم الانثروبولوجيا والاجتماع

Al-Mustansiriya University/ College of Arts/ Department of Anthropology and Sociology

الملخص

تكتسب هذه الأهمية من دور العاملات الأجنبيات في رعاية الأطفال وإدارة المنازل، في ظل التحولات الاجتماعية التي أدت إلى دخول المرأة بشكل كبير في سوق العمل والوظائف خارج إطار المنزل. مما يعكس تزايد الحاجة إلى العمالة الأجنبية لتلبية هذه المتطلبات المتنامية.

إن التكيف الثقافي والتغيير الاجتماعي للعاملات لا يتم بسرعة ولا يشمل جميع الجوانب، إذ تظل هوية الوافدين محافظة على مكانتها البارزة، متجلية في سمات ثقافية متنوعة. ويتجسد هذا التواجد بشكل ملحوظ وكبير في العديد من المناطق، إذ يشاركن في مختلف جوانب الحياة داخل الأسرة العراقية، بما في ذلك الأنشطة الدينية والمناسبات الاجتماعية.

Apstract

This importance is gained from the role of foreign female workers in caring for children and managing homes, in light of the social transformations that have led to women's significant entry into the labor market and jobs outside the home. This reflects the increasing need for foreign labor to meet these growing requirements.

Cultural adaptation and social change for female workers does not occur quickly and does not include all aspects, as the identity of expatriates remains prominent, manifested in various cultural characteristics. This presence is significantly and greatly embodied in many regions, as they participate in various aspects of life within the Iraqi family, including religious activities and social events.

المقدمة

يشكل موضوع تنظيم قطاع العمل المنزلي مسألة تثير قلق واهتمام أكثر من ٣،١٦ مليون عاملات منازل مهاجرة والأسر التي توظفهم في الدول العربية في منطقة الشرق الأوسط كما في أنحاء أخرى من العالم، يوظف عاملات المنازل بشكل متزايد للعناية بالمسكان والأطفال والمسنين – وهي الفئات الديمغرافية التي تسجل ارتفاعاً في المنطقة، ونظراً إلى إلى تغير الهياكل العائلية والاعتماد على قوى عاملة تتولى هذه المهام، سيبقى قطاع العاملات المنزلي متصلاً اتصالاً وثيقاً بعملية صنع السياسات العامة.

يعد حسن تنظيم قطاع العاملات المنزلي – بما في ذلك نوعية رعاية الأطفال والمسنين – مهماً من الناحية الاجتماعية، فضلاً عن أهمية البعد الاقتصادي، إذ يؤدي تحرير المرأة من واجبات الرعاية وواجباتها المنزلية، وتعزيز الاستعانة بمصادر خارجية لتنفيذ العمل المنزلي، إلى زيادة مشاركة المرأة في سوق العمل. علاوة على ذلك، قد يفتح إضفاء طابع مهني على مهنة العاملات المنزلي، بما في ذلك رعاية الأطفال، الباب أمام فرص عمل جديدة للعمال المهاجرين والوطنيين المهجرة كما يرمي الحرص على توافر آليات لتنظيم ظروف العمال وسلوك أصحاب العمل إلى القضاء على قضايا ومزاعم العبودية الحديثة والتي تحمل تداعيات لا تطال الحقوق فحسب، بل قد تؤدي إلى إضعاف السياحة أيضاً والتجارة أحيانا تشكل علاقة العمل المنتجة بين الأسرة والعاملات المنازل مكوناً أساسياً من مكونات الأسرة المتجانسة.

تتسم الكثير من العلاقات بين صاحب العمل والعاملات المنزل بالإيجابية، يمكن أن تؤدي مسائل شائعة كعدم الثقة وسوء التواصل والإحباط بين أصحاب العمل وعاملات المنازل إلى بيئة متوترة تؤثر سلباً على كل فرد من أفراد الأسرة، ولا تشكل هذه مسألة «اسرية» خاصة فحسب، بل تتعلق أيضا بسوق العمل، لأنه يعترف عالمياً بعمّال المنازل على أنهم عمالة. وفي غياب الدعم الحكومي، قد يشهد القطاع نسبة مرتفعة من دوران العمال، وكفاءة منخفضة في مطابقة الوظائف والتعيين، فضلاً عن عدد كبير من القوى العاملة في وضع غير نظامي نتيجة هروب العاملات. أو تركهم لأصحاب العمل بسبب تدهور العلاقة بين العامل وصاحب العمل، أو انتهاكات حقوق العمل. وتضطلع الحكومات بدور مهم في صياغة وإنفاذ الأنظمة التي تساهم في بناء علاقة عمل منتجة بين عاملات المنازل وأصحاب العمل.

اولاً: اهمية الدراسة

عمل دراسة لعاملات خدمة المنازل ذو أهمية كبيرة لفهم الظروف العملية توفير فهم دقيق للظروف التي يعمل فيها عاملات خدمة المنازل بما في ذلك ساعات العمل والأجور وظروف العمل والتحديات التي قد يواجهونها توفير بيانات عن ظروف العمل يمكن أن يساعد في تحسينها مبادرات من قبل أصحاب العمل تحسين الحماية القانونية إذ ان الدراسة عاملات المنازل يمكن أن تساهم في تشكيل سياسة عامة تستهدف دعم عاملات خدمة المنازل وتحسين ظروفهن تحسين التدريب والتأهيل وفهم احتياجات التدريب والتأهيل يمكن أن يساعد في تعزيز مهارات العاملات وزيادة فرص تقدمهن في سوق العمل تحقيق التوازن بين العمل والحياة الشخصية.

ثانياً: اهداف الدراسة

الهدف والغاية هي مرام كل باحث يهدف الى اظهار حقيقة ما، او اعادة توضيح ماهو ظاهر بشكل وضوح ولكن بطريقة مختلفة، كما هي ميزة الانثروبولوجيا ووصفها الدقيق المكثف، وان من اهم سمات الاهداف والغايات هي الرواية الواضحة للدراسة التي تتخذ من الاهداف العامة والاجابة على التساؤلات اهدافاً لها.

كما يلي:

١. تحليل الوضع الاجتماعي والاقتصادي وفهم الاوضاع العاملات من ظروف العمل، ساعات العمل ودراسة التأثير الاقتصادي لعاملات المنازل على الأسرة والمجتمع.
٢. تقييم ظروف العمل طبيعة العقود وشروطها وتحديد مدى الامتثال للقوانين المحلية والدولية المتعلقة بحقوق العمالة ومتابعة الانتهاكات المحتملة مثل الاستغلال، العنف، عدم دفع الأجور.
٣. التعرف على التحديات الثقافية والاجتماعية من خلال دراسة تأثير اختلاف الثقافات واللغات بين العاملات وأرباب العمل وتحليل مدى تقبل المجتمع لوجود عاملات المنازل الأجنبيات.
٤. التأثير النفسي والصحي هي دراسة الآثار النفسية للعمل في بيئات مغلقة أو بعيدة عن الوطن والأسرة وتحليل الصحة الجسدية والعقلية لعاملات المنازل.

ثالثاً: العمالة لغةً واصطلاحاً

العامل في العربية ما عَمِلَ عَمَلًا ما ترفع أو نصب أو جر، كالفعل والناصب والجازم وكالأسماء التي من شأنها أن تعمل أيضاً وكأسماء الفعل وقد عمل الشيء في الشيء أحدث فيه نوعاً من الإعراب.

العَمَلُ المُطاوعةُ لفعل الشيء عَمِلَ يَعملُ عَمَلًا وكلُّ فِعلٍ يُفْعَلُ فهو عَمَلٌ والعملُ اسمُ ما يُفعلُ ويُستخدم للدلالة على الجهد المبذول لتحقيق غاية معينة أو إنجاز شيء.[1]

العَمالةُ ما يُؤدّيه العاملُ على العَمَلِ ويقال ان عُمِلَ على الشيءِ عَمالةً أي وُلّيَ عليه وتُشير إلى الوظيفة أو المنصب الذي يُعيّن فيه الشخص للقيام بمهمة معينة اما العمل هو الجهد أو النشاط الذي يقوم به الإنسان لتحقيق هدف معين أو غاية ما ويمكن أن يكون العمل ماديًا أو فكريًا وعادة ما يرتبط العمل بالحصول على مكافأة مالية. أمثلة: العمل اليدوي، العمل العقلي، العمل في المصنع.[2]

العمالة: تشير إلى العمل الذي يقوم به العامل وقد تعني قوى العمل البشرية أو الطبقة العاملة كما يمكن أن تشير إلى العمالة الأجنبية التي تأتي من خارج الدولة للعمل في مجالات معينة.

أمثلة: عمالة رخيصة، عمالة وافدة.[3]

العمالة اصطلاحاً: العمالة وهي مجموعة من الأفراد القادرين والراغبين في العمل سواء كانوا يعملون فعلاً أو يبحثون عن عمل وهي تعني استخدام الأيدي العاملة بشكل يُسهم في الإنتاج الاقتصادي سواء كان في القطاع الصناعي أو الزراعي أو الخدمي. ان العمالة هي الجانب الآخر لمفهوم البطالة إذ إن تحقيق العمالة الكاملة هو الهدف الاقتصادي والاجتماعي الذي تسعى إليه

---

[1]1. ابن منظور الافريقي المصري، لسان العرب، دار بيروت، نشر لاول مرة في القرن الرابع عشر الميلادي في عام ١٢٩٠. ص ٣٥٦ الى ص ٤٧٨.

[2]2. ابن منظور الافريقي المصري، لسان العرب، دار بيروت، نشر لاول مرة في القرن الرابع عشر الميلادي في عام ١٢٩٠. ص ٣٥٦ الى ص ٤٧٨.

[3]3. احمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، الطبعة الاولى، القاهرة عالم الكتب، عام ٢٠٠٨، ص٣٤٥٦ الى ص ٣٤٥٨.

المجتمعات لتجنب الآثار السلبية للبطالة، وان أهمية تحقيق العمالة الكاملة كهدف رئيسي لتحقيق التوازن والاستقرار الاقتصادي.[4]

العمالة هي الاستخدام الأمثل للموارد البشرية لتحقيق الأهداف الاقتصادية والاجتماعية من خلال توظيف الأفراد في أماكن تتناسب مع قدراتهم ومهاراتهم بما يحقق إنتاجية حقيقية ويسهم في توازن الاحتياجات بين الفرد والمجتمع.[5]

رابعاً: العمل

هو عملية تنظم الأنشطة لدعم المجتمعات الإنسانية ويتضمن استخدام الطاقة البشرية ووسائل الإنتاج والعلاقات الاجتماعية لتنظيم التوزيع والاستهلاك. في المجتمعات الرأسمالية يُعتبر العمل سلعة تُباع وتشترى في السوق المفتوح بينما كان في المجتمعات ما قبل الرأسمالية يرتبط بالعلاقات الاجتماعية أو القرابية. يُنظر إلى التوظيف كظاهرة اجتماعية تهدف إلى تبادل العمل مقابل أجر أو ربح حيث يبقى الهدف الرئيسي من العمل هو الحصول على تعويض مادي بغض النظر عن الظروف التي قد تؤدي إلى خسائر أو عدم الحصول على الأجر المتفق عليه.[6]

أن العاملات في مجال الخدمة المنزلية خاصةً الأجنبيات منهن فإنهن يشكلن جزءًا محوريًا من النظام التوظيفي في العديد من المجتمعات إذ يعد العمل المنزلي نوعًا من التوظيف الذي لا يُدرج دائمًا في الإحصائيات الرسمية أو يُعطى نفس القيمة الاجتماعية التي يتمتع بها العمل في القطاعات الأخرى. وفي هذه الحالة غالبًا ما يواجه العمال الأجانب تحديات متعددة تتراوح بين الصعوبات الثقافية والاجتماعية إلى المعاملة غير العادلة أو غياب الحقوق القانونية. اي ان الأنثروبولوجيا الثقافية يتم التعامل مع هؤلاء العمالة باعتبارهم أفرادًا ينتمون إلى ثقافات أو

4[1]. عبد العزيز مهنا، البطالة والعمالة الكاملة، الطعبة الثانية، ناشر مكتبة الانجلو المصرية، الفصل الاول ص ٣ الى ص٦.

5[2]. مصطفى كمال فايد، البطالة ووسائل التوظيف الكامل، الطبعة الاولى، للنشردار الفكر العربي، الفصل الاول ص٣٦ الى٣٨.

6[3] . شارلوت سيمور سميث، موسوعة علم الانسان المفاهيم والمصطلحات الانثروبولوجيا، الطبعة عام ٢٠٠٩، ص ٤٠٤ .

مجتمعات أخرى مما يضفي بُعدًا يُنظر إلى علاقات العمل بينما يتم تضمين هؤلاء العمال في الإحصاءات الخاصة بالقوى العاملة إلا أن ظروف عملهم غالبًا ما تكون غير مستقرة أو غير قانونية ما يجعل تحديد "العمالة" في هذه الحالة عملية معقدة إذ قد يتعرضون للاستغلال أو العمل تحت ظروف قاسية.[7]

خامساً: الاسرة لغةً واصطلاحاً

الأسرة في اللغة هي الدرع الحصين وأهل الرجل وعشيرته[8] وتطلق على الجماعات التي يربطها أمر مشترك وجمعها أسر[9] وجاء في معجم علم الاجتماع أن الأسرة هي عبارة عن جملة من الأفراد يرتبطون معا بروابط الزواج والدم والتبني ويتفاعلون معا .[10]

تعتبر الاسرة هي رجل وامرأة أو أكثر يرتبطون معًا بروابط قرابة أو علاقات وثيقة أخرى إذ يشعر الأفراد البالغون فيها بمسؤوليتهم تجاه الأطفال سواء كانوا أبناءهم البيولوجيين أو أبناءهم بالتبني. وفي هذا السياق تُفهم الأسرة كجماعة مترابطة بقوة إذ يُقال "أسره أسراً" أي قيده وأخذه أسيراً ويحمل مصطلح "الأسرة" في اللغة العربية معنى التماسك والقوة كما يُقال "أسرة الرجل" بمعنى عشيرته التي يتقوى بها. تُعد الأسرة البنية الأساسية لتكوين المجتمع فهي من أبسط أشكال البناء الاجتماعي التي تتسم بتنوع وتداخل العلاقات والأدوار والوظائف مما يجعلها الوحدة الأولى التي تشكل الهيكل الاجتماعي وتحدد وظائفة.[11]

---

[7] [1] . UNITED NATIONS ECONOMIC COMMISSION FOR EUROPE Handbook on Forms of Employment. Geneva، 2022. website: http://shop.un.org P9 TO P14

[8] مصطفى الخشاب،علم الاجتماع ، للنشرعالم الكتب القاهرة، عام ١٩٨٥، ص ٥٤.

[9] عبد القادر القصير،الأسرة المتغيرقي المجتمع المدينة العربية ، الطبعة الأولى ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٩٥عام .

[10] زيدان عبد الباقي،الأسرة والطفولة ، الطبعة الرابعة، مكتبة النهضة العربية بمصر، الطبعة عام ١٩٨٠ ، ص ٦.

[11] احمد زكي بدوي، معجم العلوم الاجتماعية، نوفمبر ٢٠٠٩، ص ١٥٢ _ ١٥٥.

الاسرة اصطلاحا، الأسرة هي المؤسسة الاجتماعية الأولى التي تُعنى بتنشئة الأفراد وإعدادهم للحياة الاجتماعية إذ تعد الأسرة الوسط الأول الذي يكتسب فيه الطفل المبادئ الأساسية للتربية الاجتماعية والثقافية ويتعلم من خلاله عادات وتقاليده والسلوك ويرى مالينوفسكي أن الأسرة هي وحدة اجتماعية أساسية تتكون من الأب والأم والأبناء الذين تربطهم علاقة بيولوجية واجتماعية الأسرة تلبي الاحتياجات الأساسية للأفراد سواء كانت مادية (مثل الطعام والمأوى) أو نفسية (الحب والاهتمام(يعد المالينوفسكي الأسرة عنده مؤسسة ضرورية إذ تهدف إلى التكاثر والرعاية والتنشئة الاجتماعية للأطفال لضمان استمرار المجتمع كما أشار أن العلاقات الأسرية تنظم من خلال العادات والتقاليد والنظم الاجتماعية التي تفرضها الثقافة. فضلاً عن ذلك قام مالينوفسكي دراساته على مجتمعات بدائية وخاصة في جزر تروبرياند الواقعة في المحيط الهادئ وأظهر أن الأبوة والأمومة ليست فقط مسألة بيولوجية بل أيضًا مسألة اجتماعية وثقافية.[12]

سادساً: تأثير المرأة والمال على اقتصاد الكفاف الأفريقي

هذه الورقة قدمها الأستاذ بول بوهانان[13] وهي تحليل موجز لتأثير أموال الأغراض العامة وزيادة التجارة في اقتصاد أفريقي لم يكن يعرف سوى التجارة المحلية واستخدم أموال الأغراض الخاصة فقط. التيف (Tiv)، وهم شعب، لا يزال إلى حد كبير وثنياً، وكان من حسن حظي العيش بينهم والعمل معهم لأكثر من عامين. إنهم مزارعو الكفاف المزدهرون ولديهم سوق محلي متطور للغاية يتبادلون فيه منتجاتهم ومشغولاتهم اليدوية، ويمارسون من خلالها التجارة المحلية . الرمزية الاكثر تميزا حول اقتصادهم هي رمزية يتشاركونها مع الكثير من الشعوب وربما معظم، الشعوب ما قبل النقدية–هي ما يمكن تسميته بالاقتصاد متعدد المراكز. و باختصار، فأن الاقتصاد متعدد المراكز هو اقتصاد تنقسم فيه سلع المجتمع القابلة للتبادل إلى مجالين أو أكثر من المجالات المتنافية، كل منها يتميز بمؤسسات مختلفة وقيم أخلاقية مختلفة. في بعض الاقتصادات متعددة

---

[12] (1)BRONISLAW MALINOWSKI، Sex and Repression in Savage Society، PRINTED IN GREAT BRITAIN BY LUND HUMPHRIES LONDON ، first published 1927 Part 1 - p 1 to p 7.

[13] Bohannan Paul( )(٢٠٠٧-١٩٢٠) عالماً أنثروبولوجياً أمريكيا معروفا بأبحاثة حول شعب التيف في نيجيريا، ومجالات التداول والاطلاق في الولايات المتحدة.

المراكز، تظل هذه المجالات متميزة، على الرغم من وجود وسائل مؤسسية إلى حد ما لتحويل الثروة من واحدة إلى ثروة في أخرى في معظمها. ومحليا كان هناك ثالثة مجالات في الاقتصاد متعدد المراكز في التيف[14]. أول هذه المجالات هو المرتبط بالعيش، والذي يسميه التيف yiagh)) الذي يشمل السلع الموجودة فيه جميع المواد الغذائية المنتجة محلياً :- البطاطا ألاساسية والحبوب، بالأضافة إلى جميع التوابل وألاطباق النباتية والتوابل، وكذلك الماشية الصغيرة – الدجاج والماعز وألاغنام. كما تشمل ألاواني المنزلية (الهاون، والسلال، وألاواني) وبعض ألادوات (خاصة تلك المستخدمة في الزراعة) والمواد الخام لإنتاج أي أصناف في هذه الفئة. في هذا المجال، يتم توزيع البضائع إما عن طريق تقديم الهدايا أو من خلال التسويق. تقليديا لم يكن هناك نقود من أي نوع في هذا المجال – تم تداول جميع البضائع عن طريق المقايضة. كانت هناك منظمة سوق متطورة للغاية يتبادل فيها الناس إنتاجهم مقابل متطلباتهم، وفيها يشتري التجار اليوم المنتجات في الأسواق الرخيصة وينقلونها لبيعها في الاسواق ألاكثر غلاء .[15]

---

[14] ( ) Bohannan, Paul: The Impact of Money on an African Subsistence Economy, The Journal of Economic History, Cambridge University Press, Vol. 19, No. 4 (Dec., 1959), pp. 491-503

[15] ((Bohannan, Paul: The Impact of Money on an African Subsistence Economy, op, cit, p495.

سابعاً: الكفاف واقتصادات المرأة عند الشعوب الأصلية- استكشاف نموذج الاقتصاد الاجتماعي لحكم السكان الأصليين [16]

بدأت الأستاذة راونا كوكانين kuokkanen .R بحثها بالعبارة المقتبسة من الأستاذة أنطوانيت هيلمر Helmer .A المتخصصة بشؤون السكان الأصلين في مجلس المعاهدات الهندية الدولية بالعبارة الآتية الربح لغير السكان الأصليين يعني المال. في حين انه يعني بالنسبة للسكان الأصليين حياة جيدة مستمدة من البر والبحر، فالعيش كلمة تعني . . . طريقتي بالحياة[17]

تتجاوز أهمية الاقتصادات التقليدية في مجتمعات السكان الأصليين المجال الاقتصادي- فهي أكثر من مجرد سبل عيش توفر الكفاف والرزق لألف ارد أو المجتمعات. على حد تعبير سيمون براسكوبي Brascoupé .S، وكان الاقتصاد التقليدي، الذي يعيش على الأرض ومع الأرض، هو الذي يضفي معنى على الشعوب الأصلية" وقد الحظ عدد من الباحثين الآخرين مركزية الاقتصادات التقليدية في هوية وثقافة السكان الأصليين [18]

ومن الواضح أن اقتصادات السكان الأصليين قد اجهضت على مدار التاريخ. وبالرغم من ذلك، فمن غير الصحيح القول بأن اقتصادات الشعوب الأصلية أو اقتصادات الكفاف لم تعد قادرة على دعم تلك المجتمعات، ومن أجل تقديم صورة أكثر دقة عن حالة اقتصادات السكان الأصليين، يتعين على المرء أن ينظر في استخدامات الأراضي والموارد المتنافسة، وأنظمة الدولة الاستعمارية،

---

[16] Kuokkanen, Rauna, Indigenous Economies, Theories of Subsistence, and Women, Exploring the Social Economy Model for Indigenous Governance, University of Nebraska Press, American Indian Quarterly, Vol. 35, No. 2 (Spring 2011), pp. 215-240

[17] Ibid, 215.

[18] Simon Brascoupé, "Strengthening Traditional Economies and Perspectives," in Sharing the Harvest, the Road to Self-Reliance: Report of the National Round Table on Aboriginal Economic Development and Resources (Ottawa: Minister of Supply and Services, 1993), 101.

وتدمير البيئة، وتضاؤل أو عدم الوصول إلى ألاراضي والموارد التقليدية بسبب مصادرة الأراضي أو الاقتحام من الغرباء.

ناقشت رئيسة المنتدى الدائم لألمم المتحدة المعني بقضايا الشعوب الأصلية، فيكتوريا تاولي كوربوز V. Corpuz–Tauli، نساء الشعوب الأصلية في الفليبين بقولها: يتمثل أهم أثر للعولمة على نساء الشعوب الأصلية في التحول الكبير من إنتاج الكفاف إلى إنتاج المحاصيل النقدية. . . وتعد الأساليب المحلية لا لنتاج وإدارة إعادة المصادر غير فعالة ومتخلفة من قبل اقتصاد السوق العالمي الذي يتمثل شعاره في المنافسة العالمية والميزة النسبية. سيتعين على مئات الآلف من نساء الشعوب الأصلية التخلي عن ممارسات إدارة الزراعة والموارد المستدامة وهذا يترك نساء الشعوب الأصلية عرضة للخطر بشكل خاص، حيث يضطررن في كثير من ألحيان إلى الهجرة إلى الم اركز الحضرية. في المدن، وينتهي الامر بالعديد من النساء إلى العيش في فقر أو مغادرة البالد للعمل في الخارج. في كلتا الحالتين[19]

ثامناً: الدراسة الحقلية

عاملة منزل إثيوبية اسمها (شكا)، إذ تعمل مدبرة منزل ورعاية الأطفال تم طلب من العائلة التي تسكن (شكا) معهم في المنزل، وبعد بضعة أيام تمت الموافقة على الطلب بكل سرور. إذ أُجريت المقابلة في منزل كبير يمتلك إطلالة خارجية جميلة وواسعة، وحديقة أمامية ذات كثافة كبيرة من النباتات.

تم استقبالي من قبل سيدة المنزل، وهي كبيرة تبلغ من العمر خمسة وأربعين عاماً، وقورة. بعد ذلك قامت بمناداة العاملة شكا، التي كانت تبدو في العشرينات من عمرها، وهي متوسطة الطول ونحيلة الجسم، ترتدي بنطال جينز أزرق مع قميص وردي ولفة حجاب أشبه بلفة التوربان، إذ يغطي شعرها ويظهر عنقها، وكانت ملامح وجهها وهيئتها تعبر عن العرق الأفريقي، إذ كانت ذات بشرة سمراء، وعيون سوداء واسعة، وأنف مستدق عريض، وفم كبير ذو شفاه عريضة وممتلئة، ووجه

[19] Victoria Tauli-Corpuz, Globalization and Its Impacts on Indigenous Women: The Philippine Experience (Penang, Malaysia: Third World Network, 2001).

دائري صغير، وكانت مميزة بوشم على الجبين والخدين والذقن. اقتربت العاملة مني لتلقي التحية، وتلفظت ببعض الكلمات العربية من أجل التواصل معي لإجراء المقابلة، كانت في غاية الاحترام وودودة جداً. في ذلك الوقت، طلبت سيدة المنزل أن يكون ابنها الأكبر معنا في المقابلة للمساعدة، إذ كان من الصعب التواصل معها أثناء المقابلة، وكنت آخذ وقتاً طويلاً للحصول على الإجابة، وأحياناً كنت أستخدم بعض الكلمات الإثيوبية التي تعلمتها من خلال اطلاعي على لغتهم، لكنها لم تكن تجدي نفعاً بشكل كبير، لأن شكا أمية لم تُتح لها الفرصة التعلم، فلا تستطيع من الكلام باللغة الإنجليزية أو العربية، وحتى الإثيوبية، بسبب تعدد اللغات في إثيوبيا. فبفضل مساعدة الابن الأكبر للسيدة، كنا نستطيع التواصل مع شكا والوصول إلى ما نريد.

كانت شكا صبورة جداً في التعامل معي وتتحمل جميع التساؤلات التي تطرح عليها، والنقاش الذي كان يدوم في كل مقابلة ما يقارب الساعين إلى ثلاث ساعات، مما كان يعيق عملها في المنزل ورعاية الطفلة التي كانت تأتي بين الحين والآخر إليها لتلعب معها أو تذهب بها إلى الحمام أو تطعمها شيئاً. كانت طريقة التواصل مع الطفلة تتم عبر بعض الإشارات والكلمات البسيطة، مثل "نمنمنم" التي تعني أن الطفلة تريد الطعام من شكا، أو الإشارة إلى ملابسها لتطلب تغييرها.

شكا تتعامل مع العائلة وكأنها واحدة منهم وليست مجرد عاملة. العائلة تعاملها بالمثل، إذ يشاركونها مناسباتها ويقيمون حفلة عيد ميلادها ويقدمون لها بعض الهدايا والتهاني. يتذكرونها عند شراء ملابس أو بعض الأطعمة التي تفضلها، وتجلس معهم في أوقات الفراغ للتسلية، ويتشاركون الطعام والشراب خلال شهر رمضان. تصوم شكا وتلتزم بالزي الإسلامي الشرعي من حجاب وثوب طويل، تقتدي بذلك بما تراه من السيدة والعائلة. في وقت صلاة العيد، تكون شكا مع العائلة في جميع المراسم، وتعلمت منهم كيف تصنع كليجة العيد، التي تسميها "ليج العيد" لصعوبة لفظها.

رغم محاولتها تعلم اللغة العربية، تظل لدى شكا بعض العادات والتقاليد الثابتة التي تربت عليها. أحد هذه العادات هو التاتو الذي على وجهها، والذي لا يشكل عائقًا أمام عملها. تاتو شكا عبارة عن خطوط متساوية على الوجنتين والجبين والذقن، بلون أخضر يتناسب مع بشرتها السمراء. قامت شكا بهذا التاتو في صغرها عندما كانت في الثامنة من عمرها، إذ طلبت من والدتها أن تعمل لها التاتو لتقلدها. كان التاتو يرسم باستخدام إبرة حادة وأصباغ خضراء، وهي عملية مؤلمة وصعبة تحملتها شكا في سن صغيرة. تشعر الآن بالندم وتقول "ليتني لم أقم بعمل التاتو"، لأنه أصبح غير مرغوب فيه في إثيوبيا، خصوصًا بين الأفراد الذين يعتنقون الإسلام.

لدى شكا غرفة صغيرة تحتوي على نافذتين من الزجاج مع إطار خارجي من الحديد. كانت النافذة مغطاة بستارة من قماش ثقيل يصعب مرور ضوء الشمس من خلالها، ولونها كحلي غامق. تحتوي الغرفة على سرير من الحديد عليه فراش من الإسفنج وفوقه غطاء ووسادة. كما يوجد كوميدينو من الخشب تضع عليه سماعة بلوتوث، وأربطة شعر، وكريم شعر، وبعض قطع البسكويت والشوكولا. هناك أيضًا خزانة من البلاستيك القوي المضغوط لتضع فيها بعض الملابس التي قامت سيدة المنزل بشرائها لشكا وبعض المستلزمات الخاصة

رغم هذا، العائلة لا تعطي الثقة الكاملة لشكا، وتتحفظ بعدم ترك أي شيء ثمين أمامها. توضع كاميرات في المنزل من الداخل والخارج، مربوطة بأجهزة هواتف السيدة والسيد للمتابعة المستمرة. توجد خزانة رقمية تُغلق بحساب سري لوضع مستمسكات العاملة وما يخص العائلة. كما يلتزم أفراد العائلة في المنزل بملابسهم وتصرفاتهم احترامًا لوجود العاملة، لتجنب أي خطأ ممكن أن يحدث.

شكا وعند سؤالنا للعاملة اجابت: اسمي شكا، من مواليد سنة ٢٠٠٤، وأبلغ من العمر عشرين عاماً. تزوجت في عمر الرابعة عشر من رجل عمره ثلاثين عاماً، يعمل مدرس فيزياء في مدرسة، ولديه راتب شهري ثابت ومنزل خاص.

الزواج في إثيوبيا يكون بإقامة حفلة الخطوبة بمراسيم تعتمدها أهل إثيوبيا في حفلاتهم، وبعدها حفلة الزفاف الكبيرة التي تضم جميع أفراد القرية في مكان واحد. تلبس النساء الفساتين الطويلة ذات الأكمام الطويلة وتزين بالكثير من الإكسسوارات والحلي لإضفاء مظهر جذاب وجميل، وتكون الفساتين متعددة الألوان الزاهية والبراقة. كذلك، تضع النساء الكبار الحجاب على رأسهن يشبه التوربان، ويكون مطابقاً للون الفستان الذي يرتدينه، وعليه بعض الإكسسوارات للزينة.

الخاتمة

تطرقت الباحثة في الفصل إلى نتائج الأهداف التي أشار إليها سابقاً، فضلاً عن استنتاجات لم يستهدفها الباحثة، ظهرت من خلال البحث الميداني والتساؤلات التي تم طرحها في الرسالة. وعند العودة إلى الموضوع، جاءت الاستنتاجات كما يلي:

العمالة الأجنبية في العراق، رغم فوائدها المحتملة، تحمل أيضاً العديد من المساوئ والتحديات الاقتصادية والاجتماعية التي تؤثر على مختلف جوانب المجتمع العراقي، ومنها: التأثير الثقافي والاجتماعي، اذ يمكن أن تؤثر العمالة الأجنبية، خاصةً عند تزايد أعدادها، على القيم الثقافية والعادات الاجتماعية. فقد يؤدي تداخل الثقافات المختلفة إلى مشكلات في التكيف الاجتماعي، خصوصاً إذا لم يكن هناك توازن بين أعداد العمالة الأجنبية وأبناء المجتمع المحلي. وهذه التأثيرات قد تكون إيجابية أو سلبية حسب عدة عوامل، مثل عدد العمالة الأجنبية، سياسات الاندماج، وطريقة تعامل المجتمع المحلي معهم. وجود العمالة الأجنبية قد يسهم في إدخال ممارسات وعادات جديدة، مما يؤدي إلى تغييرات في التقاليد المحلية. على سبيل المثال، قد تؤثر بعض العادات الثقافية للعمالة الأجنبية في أساليب الحياة اليومية، مثل طرق الطعام، الاحتفالات، وأنماط التعامل بين الأفراد.

في بعض الحالات، قد يؤدي هذا التداخل الثقافي إلى تحديات في الحفاظ على الهوية الثقافية المحلية، خاصةً إذا لم يكن هناك تبادل متوازن بين الثقافات. قد تبرز تحديات في التواصل بين العمالة الأجنبية وأبناء المجتمع المحلي، خصوصاً إذا كانت اللغة المشتركة بين الطرفين غير متمكنة. وهذا قد يؤدي إلى تباين في الفهم والتفسير للمواقف اليومية، مما يؤثر على التفاعل الاجتماعي والمهني. في بعض الحالات، قد تزداد الفروق الثقافية بين العمالة الأجنبية والمجتمع المحلي، مما يخلق صراعات اجتماعية.

مثلاً، قد تختلف القيم الدينية أو الممارسات الشخصية للعاملات الأجنبيات عن الممارسات المحلية، مما قد يؤدي إلى توترات أو سوء فهم. كما قد يواجه العمال الأجانب تحديات في التكيف مع ثقافة العمل والعادات الاجتماعية المحلية، خصوصاً في مجالات مثل العمل المنزلي أو رعاية الأطفال، إذ تكون المسؤوليات الاجتماعية والوظيفية معقدة.

مصادر الدراسة

١. ابن منظور الافريقي المصري، لسان العرب، دار بيروت، نشر لاول مرة في القرن الرابع عشر الميلادي في عام ١٢٩٠. ص ٣٥٦ الى ص ٤٧٨.
٢. ابن منظور الافريقي المصري، لسان العرب، دار بيروت، نشر لاول مرة في القرن الرابع عشر الميلادي في عام ١٢٩٠. ص ٣٥٦ الى ص ٤٧٨.
٣. احمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، الطبعة الاولى، القاهرة عالم الكتب، عام ٢٠٠٨، ص٣٤٥٦ الى ص ٣٤٥٨.
٤. عبد العزيز مهنا، البطالة والعمالة الكاملة، الطعبة الثانية، ناشر مكتبة الانجلو المصرية، الفصل الاول ص ٣ الى ص٦.
٥. مصطفى كمال فايد، البطالة ووسائل التوظيف الكامل، الطبعة الاولى، للنشردار الفكر العربي، الفصل الاول ص٣٦ الى٣٨.
٦. شارلوت سيمور سميث، موسوعة علم الانسان المفاهيم والمصطلحات الانثروبولوجيا، الطبعة عام ٢٠٠٩، ص ٤٠٤ .
7. UNITED NATIONS ECONOMIC COMMISSION FOR EUROPE Handbook on Forms of Employment. Geneva، 2022. website: http://shop.un.org P9 TO P14
٨. مصطفى الخشاب،علم الاجتماع ، للنشرعالم الكتب القاهرة، عام ١٩٨٥، ص ٥٤.
٩. عبد القادر القصير،الأسرة المتغيرقي المجتمع المدينة العربية ، الطبعة الأولى ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٩٥عام .
١. زيدان عبد الباقي،الأسرة والطفولة ، الطبعة الرابعة، مكتبة النهضة العربية بمصر، الطبعة عام ١٩٨٠ ، ص ٦.
٢. احمد زكي بدوي، معجم العلوم الاجتماعية، نوفمبر ٢٠٠٩، ص ١٥٢ _ ١٥٥.
3. BRONISLAW MALINOWSKI، Sex and Repression in Savage Society، PRINTED IN GREAT BRITAIN BY LUND HUMPHRIES LONDON ، first published 1927 Part 1 - p 1 to p 7.
4. Victoria Tauli-Corpuz, Globalization and Its Impacts on Indigenous Women: The Philippine Experience (Penang, Malaysia: Third World Network, 2001).